[196] أولى، فبهذا الطريق ثبت في فؤاده أن القوم عاجزون عن المعارضة لا محالة وثامنها: أن السفارة بين ا وبين أنبيائه وتبليغ كلامه إلى الخلق منصب عظيم، فيحتمل أن يقال: إنه تعالى لو أنزل القرآن على محمد دفعة واحدة لبطل المنصب على جبرئيل عليه السلام، فلما أنزله مفرقا منجما بقي ذلك المنصب العالي عليه (1). والترتيل في الكلام أن يأتي بعضه على أثر بعض على توءدة ومهل. قوله تعالى: " على قلبك " أي فهمك إياه، وأثبته في قلبك إثبات ما لا ينسى، و الباء في قوله: " بلسان " إما أن يتعلق بالمنذرين، فالمعنى فتكون من الذين، أنذروا بهذا اللسان، وإما أن يتعلق بنزل، فالمعنى أنزله باللسان العربي لتنذر به، لانه لو أنزله باللسان الاعجمي لقالوا: ما نصنع بما لا نفهمه ؟ وأما قوله: " وإنه لفي زبر الاولين " فيحتمل هذه الاخبار خاصة، أو صفة القرآن أو صفة محمد صلى ا عليه وآله، أو المراد وجوه التخويف " أو لم يكن لهم آية " حجة ثانية على نبوته صلى ا عليه وآله ؟ وتقريره أن جماعة من علماء بني إسرائيل أسلموا ونصوا على مواضع في التوراة والانجيل ذكر فيها الرسول صلى ا عليه وآله بنعته وصفته، وقد كان مشركو قريش يذهبون إلى اليهود ويتعرفون منهم هذا الخبر، وهذا يدل دلالة ظاهرة على نبوته صلى ا عليه وآله (2). أقول: قوله تعالى: " لا يؤمنون به " إخبار بعدم إيمان هؤلاء المكذبين المعاندين، و كذا قوله تعالى: " عسى أن يكون ردف لكم " أي تبعكم ولحقكم، إخبار بما وقع عليهم قريبا في غزوة بدر، وقد مر أن عسى من ا تعالى موجبة. قوله تعالى: " أكثر الذي هم فيه يختلفون " قال البيضاوي: كالتشبيه والتنزيه و أحوال الجنة والنار وعزير والمسيح (3). قوله تعالى: " لرادك إلى معاد " قال الرازي: قيل: المراد به مكة، وارتداده إليها يوم الفتح، وتنكيره لتعظيمه، لانه لكان له فيه شأن عظيم من استيلائه عليها، و

_____ (1) مفاتيح الغيب 5: 318 و 319 (2) مفاتيح الغيب 5: 366. (3) أنوار التنزيل 2: 206. [*]

_____